

محاضرات وندوات خارجية - أستراليا - الرحلة ٣ - المحاضرة (٢٥ - ٢٥) : المرأة والإسلام.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٢-٠٢-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

البطولة أن نفرق بين حقيقة الإسلام وبين واقع المسلمين :

أيتها الأخوات الفضليات، بادئ ذي بدء: هناك اهتمامات جزئية نعيشها جميعاً، طعام، وشراب، وأولاد، وسكن، وإنفاق، لكن الإنسان حينما يغفل عن علة وجوده في الدنيا هناك أسئلة كبيرة جداً: لماذا أنا في الدنيا؟ لماذا جاء الله بي إلى الدنيا؟ هل هناك من رسالة ينبغي أن أؤديها؟ الفرق الكبير الكبير بين امرأة غير مؤمنة، شردت عن الله عز وجل،



الفرق كبير بين من عاشت لحظتها وبين مؤمنة عرفت ربها

وعاشت لحظتها، ولبت شهواتها، وبين امرأة مؤمنة عرفت ربها، وعرفت سر وجودها، وغاية وجودها.

أول شيء بالحديث الموجه إلى أخواتنا الفضليات، أن الإسلام شيء وأن الممارسات التي تكون في العالم الإسلامي شيء آخر، الإسلام شيء، والممارسات الغير صحيحة التي تتم في هذا العالم شيء آخر، والبطولة أن نفرق بين حقيقة الإسلام وبين واقع المسلمين، واقع المسلمين لا ينبئ عن واقع الإسلام، هناك ممارسات خاطئة، و تصورات خاطئة، و سلوك خاطئ، و انحياز أعمى، هذا الواقع لا يمثل الإسلام، ومع الأسف الشديد أن العالم الغربي، أو العالم الأسترالي كنت أقول كلمة: هذا الأسترالي لم يقرأ القرآن، ولم يقرأ حديث النبي العدنان، ولم يتفقه بالفقه، الإسلام عنده هذا الإنسان الذي أمامه، فإذا أخطأ فالإسلام خاطئ، إذا قدم تصريحاً كاذباً فالإسلام خاطئ.

المساواة بين المرأة و الرجل في التكليف والتشريف والمسؤولية :

المشكلة أنك إذا كنت في بلادك في الشرق الأوسط وأخطأت يقال: فلانة أخطأت، أما إذا كنت هنا وهويتك واضحة بحجابك وأخطأت اتهم الإسلام لا أنت، لذلك كل واحدة منكن على ثغرة من ثغرة الإسلام، فالمهمة كبيرة جداً، وبالمقابل إذا رأى العالم الغربي، أو أهل هذه البلاد امرأة مسلمة، ففهي، منضبطة، راعية لزوجها وأولادها، الإسلام يعلو.



ذكر قصة، ليس لنا حاجة لتفاصيلها، هناك مشكلة أن إنساناً اتهم ظلماً في كندا بشيء لم يفعله، وأودع السجن، له زوجة بأعلى درجة من الانضباط، بأعلى درجة من الثقافة، دافعت عنه، قدمت وثائق، طافت بلاد كثيرة، وفي النهاية أفرج عنه بجهد زوجته، هذه المرأة في كندا رفعت اسم المسلمين للأوج، امرأة بأعلى درجة من الثقافة،

وفية لزوجها، واجهت دولة بأكملها، أقسم لي أخ من كندا قال لي: لعدة أشهر الخبر الأول في الصحف خبرها، القصة طويلة.

على كل المنطلق الأساسي - وهذا الكلام لا يوجد فيه مجاملة أبداً - المرأة في الإسلام مساوية للرجل تماماً في التكليف، وفي التشريف، وفي المسؤولية، مكلفة بعبادة الله كما هو مكلف، ومشرفة عند الله كما هو مشرف، ومسؤولة عند الله كما هو مسؤول، المرأة في الإسلام مساوية للرجل تماماً، في التكليف، وفي التشريف، وفي المسؤولية، هذا منطلق. لكن حينما قال الله عز وجل:

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ)

[سورة آل عمران الآية: ٣٦]

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ)

لا من باب التشريف، من باب الخصائص والمهمات.

المهمات موزعة بين الزوجين هو يكسب الرزق وهي تربي الأولاد :

اسمحو لي بمثل بعيد عن صنف البشر، يجب أن تنقل خمسين إنساناً من مكان إلى مكان، أفضل مركبة البولمان، أليس كذلك؟ لكن إذا كنت مكلفاً أن تنقل خمسة طن من الخشب، أفضل مركبة

الشاحنة، يا ترى مكان الركاب بالشاحنة صغير هل هو نقص فيها؟ لا، مكان الركاب في الشاحنة للسائق ومعاونه صغير هل هذا المكان الصغير يعد نقصاً فيها؟ لا، المكان الكبير للبيضاة هل هو كمال فيها؟ لا، هذه المركبة صنعت لأداء رسالة، لذلك مكان الركاب صغير، أما الباص المعد للركاب فأكبر مكان للركاب وأقل مكان للبيضاة، تفاوت المركبتين لا يعني تفضيل واحدة على الثانية، ولكن هذا التفاوت متعلق بمهمة كل طرف.

لذلك امرأة جاءت النبي عليه الصلاة والسلام وشكت زوجها، فبكى النبي الكريم وسمع الله شكواها من فوق سبع سموات، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، قالت له: "يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة، وذات أهل ومال وجمال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال: أنت عليّ كظهر أمي، ولي منه أولاد، إن تركتهم إليه ضاعوا- أنا أربيبهم- وإن ضممتهم إليّ جاعوا".

هذا الذي قاله الله عز وجل:

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ)

[سورة المجادلة الآية: ١]

كلام دقيق، وإن ضممتهم إلي جاعوا، هو المنفق، و إن تركتهم له ضاعوا، أنا التي أربيبهم. إذاً هناك مهمات موزعة بين الزوجين، هو يكسب الرزق، وهي تربي الأولاد، فذلك حديث للنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((انصرفي أيتها المرأة...))

وكلام النبي الكريم:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)



الزوج يكسب الرزق والأم تربي

[سورة النجم]

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها

مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله - يعدل الجهاد في سبيل الله -))

[عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

والجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام، أي أعلى شيء في الإسلام الجهاد.

((ذروة سنام الإسلام الجهاد))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها

مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله - يعدل الجهاد في سبيل الله -))

بالمصطلح المعاصر المرأة المؤمنة معها رسالة، هذه الرسالة أن تربي أولادها.

من كان سبباً بهداية إنسان كانت أعمال هذا الإنسان في صحيفته :

النقطة الدقيقة:

(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ)

[سورة آل عمران الآية: ٣٦]

امرأة عمران، قال تعالى معقباً على كلامها:

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)

[سورة آل عمران الآية: ٣٦]

أي وضعت أنثى سوف تنجب السيد المسيح، وكل أعمال النبي العظيم في صحيفتها، يجب أن تعلم يقيناً إذا ربيت ابناً وكان تقياً كل بطولته بصحيفتك، كان قائداً عظيماً كل أعماله الضخمة في صحيفتك، كان إنساناً محسناً كل أعماله في صحيفتك، لأن الله عز وجل رتب هذا الترتيب العظيم، من كان سبباً بهداية إنسان هذا الذي اهتدى على يده كل أعماله، وكل إنجازاته في صحيفة من كان السبب لذلك:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها

مرضاتها، واتباعها موافقتها، يعدل ذلك كله - يعدل الجهاد في سبيل الله -))

أحياناً لضعف الإيمان إذا أساء الزوج معاملة زوجته، تسيء هي معاملته، وتربية أولاده، هذا موقف غير صحيح، أنت معك رسالة وتبتغين في هذه الرسالة وجه الله عز وجل بصرف النظر عن معاملة زوجك، إن شاء الله تكون جيدة، لكن إن لم تكن جيدة أنت معك رسالة، أنت تسألين من قبل الله عز وجل عن هؤلاء الأولاد.

طبعاً خلال العمر الدعوي المتواضع - خمس وثلاثون سنة - عندي آلاف القصص، آلاف القصص عن امرأة سالحة بلغت أعلى درجات القرب من الله بخدمتها، من هنا قال عليه الصلاة والسلام، وهذا الحديث لصالح المرأة:

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم،

وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساکر عن علي]

أي زواج بني على طاعة الله تولى الله في عيانه التوفيق بين الزوجين :

طبعاً نحن في تاريخنا مثل عليا، روت كتب الأدب والسيرة أن القاضي شريح لقيه صديقه الفضيل، قال: يا شريح كيف حالك في بيتك؟ قال: والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكر صفائي - ما شاء الله!

هناك إنسان يقول: من ثلاثين سنة ما نمت يوماً و أنا مرتاح- الآن قال له: والله منذ عشرين عاماً لم أجد ما يعكر صفائي، قال: وكيف ذلك؟ قال: خطبت امرأة من أسرة صالحة، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً، أي صلاحاً في دينها وكمالاً في خلقها، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي، وتشكر. فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها، فقالت لي: على رسلك يا أبا أمية - انتظر- وقامت فخطبت، قالت: أما بعد يا أبا أمية، إنني امرأة غريبة، لا أعرف ما تحب وما تكره، فقل لي ما تحب حتى آتيه، وما تكره حتى أجتنبه، ويا أبا أمية قد كان لك من نساء قومك من هي كفاء لك، وكان من رجال قومي من هو كفاء لي، ولكن كنت زوجة لك على كتاب الله، وسنة رسوله، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فاتق الله فيّ وامثل قوله تعالى:

(**فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ**)

[سورة البقرة الآية: ٢٢٩]

ثم قعدت، اليوم عرسها وليس وقت خطابات، قال: وقفت وقلت: أما بعد فقد قلت قولاً إن تثبتي عليه وتصدقي فيه يكن لك ذخراً وأجرأ، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا، أعطاهما قائمتين، وما وجدت من حسنة فانشريها، وما وجدت من سيئة فاستريها، لذلك ورد: " إن الله يحب المرأة الستيرة".



وهناك امرأة فضاحة، كل ما يجري في البيت ينقل لأمها، والأم لأخواتها، والأخوات لأخواتها، بعد ساعات، أو بعد يومين أو ثلاثة ما جرى في هذا البيت علم به كل من حول هذه الأسرة، هذه امرأة فضاحة.

والله سمعت قصة في الشام حينما أذكرها لا أصدق، فتاة زوجت لشاب، هذا الشاب إما أنه في الأصل هكذا، أو

طراً معه طارئ، مختل عقلياً، لعدة سنوات لم يعلم أهلها بهذا، وهي صابرة عليه، لعدة سنوات، شيء لا يحتمل في البيت، لكن حفاظاً على مكانة أهله، ومكانته، النبي الكريم يحب المرأة الستيرة لا الفضاحة.

((أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن ثوبان]

من غير بأس، هناك بيت، و طعام، و شراب، لكن مزاجها لم يوافق مزاجه، طلبت الطلاق.

((أيُّما امرأة سألت زوجها الطلاق، من غير بأس: فحرام عليها رائحة الجنة))

عبادة الهوية :

أخواتنا الكريمات، لما تعلمين أنه أنت حاملة رسالة كبيرة هذا العلم يجعلك امرأة صالحة، هذا العلم يجعلك تؤدين هذه الرسالة.

ماذا أقول؟ أنا أحياناً ألتقي بإنسان صالح يترحم على والدته، يقول: هكذا علمتني الوالدة، علمتني على الصدق، على كذا، على كذا، و أحياناً تكون آثار الأم واضحة جداً في تربية أولادها، فالمرأة عندما تعلم هذه الرسالة تصبح امرأة أخرى.

لذلك عندنا نقطة دقيقة ولكن تعلمن أن الإنسان مكلف بعبادة ربه، من أدق تعريفات العبادة أنها: طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية تقضي إلى سعادة أبدية.

لكن عندنا فيما يسمى بعبادة الهوية، أنت من؟ مثلاً: أنت غني، العبادة الأولى إنفاق المال، ما جعلك الله غنياً إلا للتقرب إلى الله بمالك، أنت من؟ أنت



قوي، تحتل منصباً رفيعاً، إذاً أفضل عبادة للقوي إحقاق الحق، وإبطال الباطل، القوي بجرة قلم يحق حقاً، ويبطل باطلاً، أنت قوي، وأنت غني، وأنت عالم، أفضل عبادة لتعليم الناس العلم، الذين يؤدون هذه الرسالة في أعلى مستوى.

الآن أنت امرأة أفضل عبادة على الإطلاق تربية الأولاد، فلذلك لا تنسوا النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة المكرمة، ودعاها سادتها لبيبت عندهم، ماذا قال؟ قال: انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وركز لواء النصر أمام قبرها، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر.

الآن إذا الواحد عنده زوجة وماتت، إذا تزوج ثانية يذم الأولى حتى يتقرب من الثانية، النبي الكريم وفيّ جداً، قال: انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة، وركز لواء النصر أمام قبرها، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر.

أخواتنا الكريمات، شيء رائع جداً أن تقتني إحداهن كتاباً لسيرة، وأن تقرأ سيرة النبي، هذا المثل الأعلى لنا، في بيته، في معاملة زوجته، معاملة أولاده، في تربية أولاده، فكان المثل الأعلى في علاقاته الأسرية، هذا الإسلام منهج كامل، نحن في الحقيقة نتوهم خطأ وعن سوء فهم أن الإسلام صلاة، وصوم، وحج، وزكاة، والشهادة، هذا خطأ كبير، والله لا أبالغ الإسلام يقترب من خمسمئة ألف بند، مواد تفصيلية، مثلاً تربية الأولاد، إنفاق المال، العلاقات، لو أخذنا تفاصيل الشريعة عندها تقريباً خمسمئة ألف بند، منهج كامل، حتى أنا أختصر هذا الكلام أقول: هذا المنهج العظيم يبدأ من أخص خصوصيات الإنسان من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية قال تعالى:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

[سورة الزمر الآية: 9]



ما الذي يمنع أن تطلب إحداهن العلم؟
والعلم مبذول بشكل مذهل، كان الإنسان يسافر من المدينة للبصرة ليتابع حديثاً، الآن بضغطة زر يجد أمامه مئة ألف حديث، العلم من فضل الله عز وجل، لي موقع بالانترنت رواه باليوم مليون زائر، يسحب منه باليوم من ثمانمئة لتسعمئة ألف ملف يومياً، افتحوا كوكل، اكتبوا اسمي فقط، يظهر بمليون محل،

علم مبذول بشكل مذهل، سيرة، حديث، فقه، خطب، علاقات زوجية، كله في هذا الموقع.

يقولون: إن العالم كان خمس قارات، ثم صار قارة واحدة، ثم صار بلداً، ثم مدينة، ثم قرية، ثم بيتاً، ثم مكتباً، الآن العالم كله سطح مكتب، أنا جالس بسيدني أعرف أخبار الشام كل يوم، ما يجري في العالم أتابعه، العالم أصبح سطح مكتب كله، فلذلك العلم مبذول، وهناك من فضل الله مواقع بالانترنت دينية لا تعد ولا تحصى، أي سؤال يخطر في بالكن له ألف إجابة في هذه المواقع، على كل موقعي في خدمتكن، أي أخت كريمة تكتب اسمي على كوكل تجد الموقع بمليون مكان أحياناً. إذاً ليس لنا عذر بموضوع العلم، العلم مبذول، وبين أيدي كل الناس، المشكلة في التطبيق.

كل إنسان بحاجة إلى موضوعات معينة عليه أن يتفقه بها :

أيتها الأخوات الكريمات، عندنا موضوعات يحتاجها كل إنسان، كيف؟ الآن التاجر هناك موضوعات فقهية لا تعد ولا تحصى، لكن أخطر موضوع للتاجر أحكام البيع والشراء، أليس كذلك؟ الطبيب أخطر موضوع أحكام الجعالة، أن الطبيب يأخذ أجره لا على الإنجاز، يأخذه على بذل العناية فقط، هنا يوجد حكم آخر لا يوجد بيع وشراء، لا يوجد إنجاز، لا يوجد تسليم واستلام، هناك عناية، فالطبيب، والمحامي، والمدرس يحتاج إلى أحكام الجعالة، والتاجر يحتاج إلى أحكام البيع والشراء، أما المرأة ففي أمس الحاجة إلى موضوعات دقيقة من أهمها حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، لها حقوق وعليها واجبات، فإذا أدت الذي عليها عندئذ تسأل الله الذي لها، عليها ولها، أد الذي عليك واطلبي من الله الذي لك.

أنا أعتقد أن هناك خبرة رائعة جداً في ماليزيا، نسب الطلاق ارتفعت كثيراً، فشكل مهاتير محمد مدرسة للزواج، لا يمكن أن يعقد عقد قران في ماليزيا إلا إذا أبرز الزوجان وثيقة النجاح، الدورة ستة أشهر، حقوق الزوج، حقوق الزوجة، تربية الأولاد، ستة أشهر دوام، محاضرات، وامتحانات، والذي نال الشهادة له حق أن يتزوج، يقولون: إن نسب الطلاق انخفضت للعشر.

الجهل أعدى أعداء الإنسان :

أخواتنا الكريمات، الجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، فالإنسان أبلغ من ذلك، أهل النار في النار ما مشكلتهم؟ مشكلة جهل.

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[سورة الملك الآية: ١٠]

أكبر مشكلة، أهل النار في النار مشكلتهم الجهل.

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فاعترفوا بذنبهم)

[سورة الملك الآية: ١٠]

إذاً الجهل أعدى أعداء الإنسان، والأخت الكريمة عندما تعنتي بأولادها هذه ربحت الدنيا والآخرة، يا ترى هذا الابن صار داعية؟ صار عالماً كبيراً؟ صار مصلحاً اجتماعياً كبيراً؟ صار أستاذاً جامعياً كبيراً؟ ترك أثراً كبيرة، كل أعماله العظمى في صحيفتها، والله شيء عجيب الله أعطها الجنة لأنها ربت أبناءها واعتنت بأولادها.

أنا أقول أحياناً: امرأة سالحة، لا تلقت محاضرات، ولا تابعت انترنت، جالسة في بيتها، عندها عدد من البنات ربتهم تربية سالحة وزوجتهم، ووضعت رأسها وماتت، تدخل الجنة فوراً، أدت وظيفتها، أدت ما عليها، ربت أولادها.

فذلك نحن عندنا الآن أشياء ثلاث، عندنا ثلاث جهات توجه، الأسرة، المدرسة، والإعلام، أخطر جهة يقال: هذا الطالب تربيته البيئية عالية جداً، أنا عملت في التعليم خمساً و ثلاثين سنة تجد طالباً أنيقاً، مؤدباً، لا يتكلم بسوء، هذا وراءه أم عظيمة، وراء كل عظيم امرأة، وكلمة ثانية قاسية قليلاً: وراء كل حيوان امرأة، كما أن وراء كل عظيم امرأة وراء كل حيوان امرأة، لأن المرأة لها أثر كبير في حياة الأسرة.

اللذة و السعادة :

أيتها الأخوات الفضليات، طلب العلم هذا أهم شيء أتمناه عليكن في هذه البلاد، حياتنا اليومية مألوفة، أكلنا، شربنا، نمنا، سهرنا، كل يوم، كل يوم، كل يوم، وبعد ذلك؟ ألا يوجد رسالة؟ ألا يوجد هدف؟ الحياة اليومية مملة يسمونها روتينية، ليس لها معنى إطلاقاً.

لحكمة بالغة ما سمح الله للعالمين أن تمد الإنسان بسعادة مستمرة، التي لا تملك بيتاً اشتريته بيتاً، تستمتع فيه أول أسبوع و الثاني و الثالث وبعد ذلك؟ صار شيئاً عادياً جداً، التي لا تملك سيارة اشتريته سيارة، أول أسبوع و الثاني و الثالث صارت شيئاً عادياً، معها شهادة عليا قبل الشهادة تحلم أن تكتب على البطاقة لسانس في كذا وكذا، تأخذ اللسانس وتألف الوضع، ما سمح الله للعالمين أن تمد الإنسان بسعادة مستمرة، السعادة متناقصة.

ولحكمة بالغة العلماء فرقوا بين اللذة والسعادة- كلام دقيق جداً- إذا الواحد أكل أكلاً مستواه عال جداً، فيه لذة، هذه واحدة، وإنسان ساكن ببيت واسع، وفيه تزيينات عالية، والأثاث فاخر جداً، أيضاً هناك لذة، إذا كان البيت له إطلالة جميلة على بحر، أو على جبل أخضر أيضاً هناك لذة، عندنا شيء اسمه لذائذ، والعالم كله متعلق بهذه اللذائذ، وعندنا شيء اسمه سعادة، أخطر شيء أن اللذة تأتي من الخارج، والسعادة تتبع من الداخل، اللذة تحتاج إلى مال، وإلى صحة، وإلى وقت.

الحاصل أن الإنسان في البداية الصحة طبيعية، لكن لا يوجد وقت و لا مال، إذا اللذائذ تعطلت، الآن عمره أربعون، خمس وأربعون، صار معه مال وصحة لكن لا يوجد وقت، تقدم في السن، سلم المعمل لأولاده، صار عنده وقت، وعنده مال، لكن لا يوجد صحة، معه أسيد أوريك، ومعه أشياء كثيرة، فداًماً هناك ثلاثة أشياء في الأعم الأغلب



السعادة تتبع من الداخل

يتوافر شيء أو شيئين فقط و الشيء الثالث مفقود، هذه أمور اللذة، أما السعادة فلا تحتاج لا إلى وقت، ولا إلى مال، ولا إلى شيء آخر، السعادة تنبع من الداخل.

فلو شاهدت عينك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحي قتيلاً بحبنا

* * *

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا
فما حبنا سهل و كل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلتنا

* * *

تربية الأولاد أفضل عمل على الإطلاق :

أيتها الأخوات الفضليات، يقول أحدهم: معقول أن تحبس المرأة في البيت؟ معقول، مثلاً الطائفة التي جنت بها من دبي إلى سدني مباشرة، ربانها في غرفة صغيرة، في رقبته ثمانمئة راكب، ليس محبوساً، يؤدي أخطر مهمة، لا تتوهم أن أقعد في البيت، لماذا؟ هذا البيت مركز الإدارة، هذا مثل غرفة الطيار، وكل أولادك برقبتك. ست مدارس للأيتام في الشام، هناك عناية تفوق حدّ الخيال، لكن والله كل هذه العناية لا تساوي عناية الأم، الفرق كبير جداً، الطفل عند أمه وأبيه أفضل من أي دار رعاية على الإطلاق. لذلك عندما يكون للأخت الكريمة أولاد، أو إعدادها لأن تكون زوجة صالحة، هذه رسالة كبيرة جداً، تكوني أمّاً، ولك أولاد، وتربين هؤلاء الأولاد.

تعلق الإنسان بالله عز وجل وتطبيقه للمنهج أكبر رأسمال يملكه :

شيء آخر: إذا كان هناك شابة مؤمنة، مستقيمة، تقرأ القرآن، محتشمة، محجبة، لها عند الله شيء كبير جداً، نحن أحياناً نغفل عن فعل الله، ونتألم، ولا يوجد إنسانة مؤمنة، طاهرة، عفيفة إلا ولها مستقبل مزهر، ولو تأخر قليلاً، هناك عطاء إلهي كبير. فلذلك تعلق الإنسان بالله عز وجل وتطبيقه للمنهج أكبر رأسمال يملكه، الله موجود، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعي الله وتخسري، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربحي، المعصية لها ثمن باهظ، والطاعة لها ثمرة باهظة، فالأخت الكريمة عندما تتعلق بالله عز وجل وتعامل الله هي في أعلى عليين عند الله. أحياناً يكون للزوج صفات متعبة، الله قال:

(وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)

[سورة الأنبياء الآية: ٩٠]

أحياناً بالدعاء، الله عز وجل يقبله قلباً، ماذا حصل؟ أنت أصبحت مليحة، قال: أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي، وينبغي أن تعرفي مقامك عند الله من أخلاق زوجك، إذا كان هناك صلة بالله يلهمه الله أن يكون لطيفاً، كلامه لطيف، ويخدم، وإذا كان هناك بعد عن الله كلامه قاس. هناك كلمة دقيقة قالها الشعراني: أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي.

المودة و الرحمة :

ينبغي أن تعرف الأخت الكريمة المتزوجة مقامها عند الله من أخلاق زوجها، قال تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

[سورة الروم الآية: ٢٢]

من آياته الدالة على عظمته،

(خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

[سورة فصلت الآية: ٣٧]

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

[سورة الروم الآية: ٢١]



المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله، من خلقها؟ الله جل جلاله، أصل التصميم الإلهي أن تكون المودة والرحمة بين الزوجين،

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ)

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

هناك فرق بين المودة والرحمة؟ لو فرضنا الزوج ملاً بصر الزوجة وسمعها، شخصية، كريم، فهيم، وسيم، هذه المودة، الزوج مرض، صار طريح الفراش، والله أعرف زوجات في بلدنا خدمت زوجها ثلاثين سنة، طريح الفراش، وهي صابرة.

هذا عقد الزواج أخواتنا الكريمات أقدس عقد على الإطلاق، قال تعالى:

(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)

[سورة النساء الآية: ٢١]

بالقرآن هذه الآية وحيدة، ميثاق غليظ أي أقدس عقد في الحياة عقد الزواج:

(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)

العنصرية و الإنسانية :

إذا المرأة المؤمنة حينما تعرف هويتها، وتعرف دورها، وتعرف رسالتها في الحياة، أقول لكن كلمة دقيقة: البشرية الآن إما أنها عنصرية، أو إنسانية، من هو العنصري؟ هو الذي يرى أن الذي له ما ليس للآخرين- عنصري- أو على الآخرين ما ليس عليه- عنصري- و الزوج حينما يرى أن له ما ليس لزوجته، وأن عليها ما ليس عليه عنصري، حق الفيتو عنصري، لماذا خمس دول إن قالت: لا، التغي القرار و في العالم متتان و خمسون دولة.

فأنت عندما تتكلم كلاماً مؤلماً عن والدة زوجتك، و لا تستطيع هي أن ترد بأية كلمة، أما إذا تكلمت على أمك كلمة فتقيم قيامتها، أنت عنصري، مثل ما هي أمك هي أمها أيضاً، فالموضوع إما عنصري أو إنساني، الله عز وجل قال:

(وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)

[سورة البقرة الآية: ٢٢٨]

درجة واحدة، هي درجة القيادة، للطائرة طياران، المساعد طيار أيضاً لكن في حال صعب جداً القرار للطيار الأول.

فهذا الزواج مؤسسة، الآية الكريمة:

(وَأَتْمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ)

[سورة الطلاق الآية: ٦]

أي تأمرها وتأمرك، تتمنى عليها وتتمنى عليك، هناك مفاوضات مستمرة، أخذ وعطاء، أما في الأزمات فالقرار لواحد،

(وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)

لا مليون درجة، درجة القيادة، هذا الموقف الإسلامي.

تعاون الإدراك العميق مع العاطفة الجياشة يصدر فعلاً عظيماً :

شيء آخر الآية الكريمة:

(الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

[سورة النساء الآية: ٣٤]

(بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

هذه دقيقة جداً، المرأة عندها أشياء مفضلة بها على الرجل، عندها عاطفة جياشة، عندها عاطفة جياشة عالية جداً، والرجل عنده إدراك عميق، إذا تعاون الإدراك العميق مع العاطفة الجياشة صار الفعل عظيماً.
لماذا قال الله تعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

لماذا يسكن الرجل إلى زوجته؟ يسكن إلى عاطفتها الجياشة، ولماذا تسكن المرأة إلى زوجها؟ تسكن إلى قراره الحكيم، واحد معه قرار حكيم، وواحدة معها عاطفة جياشة، يتكاملون لا يتنافسون. لذلك أصل التصميم الإلهي:

(وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

فأي أخت متزوجة وجدت مودة بينها وبين زوجها لتكن شاكراً لله، وفق أصل التصميم الإلهي، وإذا لم يكن هناك مودة فعندنا مشكلة كبيرة، لذلك كل شيء يصحح، لما الله قال:

(وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)

معنى هذا أن الإصلاح ممكن، والإنسان عندما يمشي لعند الثاني نصف الطريق سيجد الثاني مشى لعنده نصف الطريق.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون بيوتكن كالجنة، بأي مكان ممكن أن تكون كالجنة والجنة ليست بحاجة إلى المال، الجنة تكون بالمودة والرحمة.

والحمد لله رب العالمين